# لماذا أتجوّل فيك حاملًا حقيبتي

أحمد طه

**١ . مقام الاستغراق:**

انفتحت أبوابك لي
وامتدّ الجسر عظيماً
بين الجسدين
من ضلعك صرتُ
الفردَ
الواحدْ
من ظنّ كنتُ . .
ومن أوهامْ
فلماذا ينتصب الماضي الآن
أمامي . . .
ولماذا أتجوّل فيك ليالِيَ
وليالْ
أحمل صرَّة أسفاري
وحقيبة أمّي المكتظّة بالخبزِ
وبالكتّانْ
أتعثّر بين الزّغَبِ الأصفرِ
والسُّرةِ
والإبطينْ
أسأل هذا الوثن الحيّ . .
فيعطيني . .
آخذ
يمعن في الحرمانْ
فلماذا انفتحت أبوابك لي
ولماذا امتدَّ الجسر، فطال الماضي
واخترق القلبين.

**٢ . مقام الاستيلاء:**

ها أنذا أصعد معراجكِ
مزدهماً بالوجد وبالأسرارْ
مستوراً . . أم راجعْ
مصلوباً خلفكِ
أم مقطوع الرأس أمامك
أصعد فيك إلى باب التوبة
محتجباً بالثديين عن الرعشات
الأولىٰ
وشهود الزغب الأوّلْ
فلماذا تتّخذين عيالك منّي :
سجناءَ
وجوّابين
وآلهة كَذَبَهْ
ولماذا تنتزعين حروفي
بحروفكِ
تقتبسين الكاف المائلة
من الألِف القائمْ
وشجيرات الكرز من السنطةِ
والجُمَّيزةِ
فتصير كراسيكِ الهزّازة
وأسرَّة نومك
صلباناً
ومشانق
ويغادر جسدي أبواب مدينتهِ
ينزع أغطيتي وحجابي . .
ويعيث فساداً . . في قلبك.

**٣ . مقام النزول:**

مثل مئذنةٍ.
أو ضريح، انْتَصَبْتُ أمامكِ
متّشحاً بالنخيلِ
فكيف كشفتِ اللفائف، أيقظتِ
هذا الرقاد الطويل، وسمّيتني
بالحروف، وأطلقْتِ فيَّ الصفاتِ
فضاقت بيَ الأمكنة . . .
واحترفت الكلامَ، فحدّثْتُ أحجار
شعبي وأشجاره الناطقاتِ
وضاجعت أنهارهُ، وتراب الحقولِ
فحدَّثني العشبُ في الباديهْ . .
إنني أملك الآن شعباً من
الكلماتِ، وعرْشاً بعرض السماواتِ
والأرضِ
سيَّجْتهُ بالضلوع، وأعددت
خيلي وقلت: أغادر شعبي
وأهبط أرضاً بغير كلامٍ
فلا يجْمح القلب بي.

هل أردّد ما قلته
أم أحاور هذا الفناء
وأسعىٰ
كأيّ إلٰهٍ صغير؟

القاهرة